كسرُ العدو

يَظنُّ كَثيرٌ مِن النَّاس أنَّ المقاومةَ في غَزَّة تَمنعُ العَدوَّ مِن التَّوغُّلِ والتَّقدُّم، وَهِي قَادرةٌ عَلى تَدميرِه بِالكَامِل، وَهذا رَاجِعٌ إلى ضَعف الخِبرة والمعرفةِ العَسكريَّة[1]، والتَّجاربِ التَّاريخيَّة للحُروب والمعارك، والحَمدُ للهِ أنَّنا لَم نُكلَّف شَرعياً بِكسرِ العَدُوِّ، بَل نَحنُ مُكلَّفون بِالإعدادِ وَصَدِّه قَدرِ المُستَطَاع، وَلن يُحاسِبَنا اللهُ إذا فَشِلنا في تَدمِيره بِالكَامل.

إنَّ مَناط الأَمر هُو الاستِجابةُ لِأمرِ اللهِ بِالإعدادِ والجِهادِ، وَلقد كَانت غَزوة تَبوكٍ أَعظم غَزواتِ الإسلام، فَقَد مَيَّزت الصَّفَّ إلى مُؤمِنٍ ومُنافق، وَحِين تَخلَّفَ ثَلاثةٌ عَن الغَزوةِ عَاقبهم النَّبي ﷺ عِقاباً شَديداً، مَعَ العِلم أنَّه لَم يَحصُل في غَزوةِ تَبوكٍ أيُّ قِتالٍ أو اشتِباك، إنَّ اللهَ يُريد مِنَّا أَن نستجيبَ له!، قال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ هَلۡ أَدُلُّكُمۡ عَلَىٰ تِجَٰرَةٖ تُنجِيكُم مِّنۡ عَذَابٍ أَلِيمٖ ١٠ تُؤۡمِنُونَ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَتُجَٰهِدُونَ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ بِأَمۡوَٰلِكُمۡ وَأَنفُسِكُمۡۚ ذَٰلِكُمۡ خَيۡرٞ لَّكُمۡ إِن كُنتُمۡ تَعۡلَمُونَ ١١ يَغۡفِرۡ لَكُمۡ ذُنُوبَكُمۡ وَيُدۡخِلۡكُمۡ جَنَّٰتٖ تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُ وَمَسَٰكِنَ طَيِّبَةٗ فِي جَنَّٰتِ عَدۡنٖۚ ذَٰلِكَ ٱلۡفَوۡزُ ٱلۡعَظِيمُ ١٢ وَأُخۡرَىٰ تُحِبُّونَهَاۖ نَصۡرٞ مِّنَ ٱللَّهِ وَفَتۡحٞ قَرِيبٞۗ وَبَشِّرِ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ﴾ [الصف: 10 – 13].

المعنى: جَاهِدوا أَصالةً في سَبيلِ اللهِ لأجلِ اللهِ وَلأجلِ مَغفرةِ الخَطَايا، وَلِكي تَنالوا الفَوزَ العَظيمَ يَومَ القِيامة، أَمَّا النَّصرُ العَسكريُّ وَكسرُ العدوِّ، فَهُو أمرٌ آخر، وهُوَ دُون الفَوزِ العظيم.

عَشراتُ المَراتِ التي خَرَجَ فِيها المُجاهدونَ لتنفيذِ مُهمَّاتٍ وَلم تَتِم، مَرةً يَحصُل خَلَلٌ في القَاذِف، ومَرَّةً خَللٌ في القَذيفة، أَخذنَا بِكُلِّ الأَسباب، لَكن لَم يَشَأِ اللهُ أن تُطلق القَذيفةُ، ومَرةً لا تُحلِّق طَائِرتنا المُسيَّرة، لَقد كُنَّا نَحزَنُ كَثيراً، وَرأيتُ بَعضَ المُجاهدينَ يَبكي بُكاءً شَديداً، وغَضِبَ مَرَّةً صَاحِبُنا حَتَّى انتفخت أَوداجُه، لأنَّ العُبُوةَ لَم تَنفجِر، فَهَوَّنتُ عَليه وأخبرته أن أجره

(1) من الناحية العسكرية فإنَّ القدرات التي نملكها قادرةٌ بعون الله على إعاقة العدو وتأخيره واستنزافه، وليست لها القدرة العسكرية على إبادته وسحقه بالكامل.